واذا ما تطرقنا الى استغلال الصهيونية للطاعون النازي في السينما خدمة لما ترسم وتخطط من مشروعات لتبين لنا ان الصهيونية لم تعاد في النازية سوى معاداتها لليهود، وانها اتخذت من هذا العداء ذريعة لانشاء وطن قومي للشعب اليهودي .

وفي الحق ان ما فعلته النازية في يهود اوروبا فعلت اكثر منه بكثير في شعوب الاتحاد السوفييتي ويوجوسلافيا وغيرها من شعوب شرق اوروبا ، ولكن الصهيونية لا تركز في السينما الا على فعلة النازية في حق اليهود .

ولا جدال في أن النازية برجعيتها السوداء وتأكيدها على نقاء العنصر الآري من خلال الحط من شأن العنصر السامي قد مهدت الطريق الى رجعية سوداء اخرى تؤكد على نقاء « شعب الله المختار » من خلال تحقير الشعوب الاخرى لا سيما الشعوب العربية. فمن يرى الافلام المعادية للسامية التي انتجتها المانيا الهتلرية وبخاصة « اليهودي الخالد » لصاحبه الدكتور « فريتز هيبلر » و « اليهودي سوس » لصاحبه « غايت هرلان » « لا بد وان يصاب بالغثيان من وباء العنصرية وكيف فقد حكام المانيا كل صواب . فما يعيب اليهود في نظر السينما الهتلرية هو ما يعيب الشعوب المتخلفة كافة وبخاصة الملونة منها(١١).

وهذا الجنون العنصري كان لا بد وان تفيد منه الصهيونية .. فبفضله بثت الذعر في قلوب اليهود ودفعت جموعهم الى الانتماء الى الحركة المنادية « بالعودة الى الوطن المختار » « للشعب المختار » . وبدأت هوليوود تنتج افلاما تركز على اضطهاد اليهود في اوروبا المحتلة بقطعان النازية وبالتجاهل لاي اضطهاد آخر .

والراجح ان الفيلم الذي استهل حركة التنوير باضطهاد اليهود ابان العهد النازي وافادت منه الصهيونية دون وعي من صاحبه او بوعي لا يصل الى درجة التواطؤ مع الفكر الرجعي الصهيوني هو « الدكتاتور العظيم » (١٩٤٠) .

الا أنه منذ الدكتاتور العظيم ، وبعد أن كشف النقاب عن جرائم الهتلرية ، والسينما حيثما للصهيونية نفوذ لا تركز عند التعرض للاحداث ابان فترة احتلال قطعان هتلر لاوروبا الا على اضطهاد اليهود .

على ان من الخطأ البين ان نعتقد ان الصهيونية في السينما وقفت عند حد التركيز على محنة اليهود تحت سلطان هتلر . انها منذ اندحار المانيا النازية وقيام اسرائيل على أرض فلسطين وهي تعدد انواع الاضطهاد لهم في كل ارض غير « أرض الميعاد » كيما تهيئهم نفسيا « للخروج من منفاهم في الشتات نحو الفردوس الموعود » !

وهكذا بدأت افلام تتكلم عن العنصرية ضد اليهود في الولايات المتحدة من بينها فيلم « النار المتشابكة » (١٩٤٧) لصاحبه ادوار ديمترك وهو المخرج الذي ذهب الى « اسرائيل » عام ١٩٥٣ حيث اخرج فيلم « المحتال » الذي قام باداء الدور الاول فيه كيرك دوجلاس . وفيلم « اتفاقية الجنتلمان » او « الحائط الخفي » (١٩٤٧) لصاحبه ايليا كازان الذي وقع اختياره على جريجوري بك ليؤدي فيه احد الادوار الرئيسية .

ولعل خير فيلم يضرب به المثل على ان الصهيونية في السينما حريصة غاية الحرص على تنبيه اليهود الى خطر العيش خارج « اسرائيل » هو « الخروج » (١٩٦٠) . فهذا الفيلم — وهو عن قصة للاديب الصهيوني « ليون اوريس » — يصف بتفصيل وباسلوب شاعري غنائي ميلاد اسرائيل(١٢). وقد اختارت هوليوود لانتاجه — وهو انتاج ضخم لان الصهيونية ارادت له ان يكون فيلما من مائتي دقيقة وان يكون شأنه بالنسبة « لاسرائيل » شأن فيلم « ميلاد أمة » بالنسبة « للولايات المتحدة » — « دالتون ترامبو »